في
التنوير الإسلامي
«١٤»

المنهاج العقلي في دراسات العربية

تأليف
د. محمد عمارة

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

في التنوير الإسلامي ١٤

المنهاج العقلي

في دراسات العربية

تأليف

د. محمد عمارة

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

اسم السلسلة : في التنوير الإسلامي.
اسم الكتاب : المنهاج العقلي في دراسات العربية .
تأليف : دكتور / محمد عمارة.
تاريخ النشر : مارس ١٩٩٨ .
رقم الإيداع : ٣٧٦٠ / ١٩٩٧ .
الترقيم الدولي : I . S . B . N 977 - 14 - 0585 -3
الناشر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي : ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت : ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ / ٠١١
فاكس : ٣٣٠٢٩٦ / ٠١١
مركز التوزيع : ١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة .
ت : ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٠٢
فاكس : ٥٩٠٣٣٩٥ / ٠٢
ادارة النشر : ٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - القاهرة
ت : ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٠٢ فاكس : ٣٤٦٢٥٧٦ / ٠٢

مقدمة

الأمر الذى لاشك فيه ، كما أعتقد ، أن دراساتنا اللغوية ، والنحوية منها بالذات ، قد أصبحت فى مسيس الحاجة إلى شىء غير قليل من التطوير ، خصوصًا فى هذه المرحلة التاريخية التى تشهد وعى الأمة العربية بجوهر تحررها الحقيقي من الاستعمار ، ومن ثم تشهد ذلك الاهتمام المتزايد بالطابع العربى ، والملامح القومية ، والسمات العربية والهوية الإسلامية لهذه الشخصية التى تتقدم بها أمتنا اليوم إلى العالم فى مختلف المجالات .. وهى أيضًا المرحلة التى يجمع فيها رواد هذه الأمة ، وأقاليمها ومراكز حضارتها على الاعتراف بالدور النامى والمتعاظم لمصر كقلب لهذا الوطن العربى الكبير ..

وإذا كانت هذه الحقيقة تضاعف من مسئولية الذين يتصدون للدراسات النحوية فى بلادنا ، فإن هناك حقيقة أخرى لابد وأن تصاحبنا وتزاملنا ونحن نتحدث عن أى تطوير أو إضافات يمكن أن تحدثها فى هذا المجال ، ألا وهى أن التجديد فى النحو ، وإعادة الصياغة ، والحذف أو الإضافة ، لابد لكل ذلك أن يرتكز على الأرض الصلبة ، أرض التراث الغنى المبدع الذى حفلت به العربية فى هذا المجال ..

وإن أية دعوة إلى التجديد ، أو محاولة فى هذا الميدان ، لاتنطلق من هذا المنطلق العزيز على أمتنا ، والنافع لها فى ذات

الوقت ، لن تكون أكثر من دعوة مشبوهة ، أو فقاعة محكوم عليها بالزوال ، مثلها مثل الدعوات التى شاعت حينًا من الدهر مستهدفة أن نكتب لغتنا بحروف لاتينية ، أو أن تجعل السيادة فى حقلنا الثقافى للهجات العامية ، والتى كان يحركها ، جهرة أو خفية ، الاستعمار وأعوان الاستعمار . .

* * *

وإذا كنا نعتقد بضرورة دراسة التراث النحوى والانطلاق منه فى أية عمليات تطويرية لهذا الفرع من فروع دراساتنا اللغوية ، فإن أحد أسباب هذا الاعتقاد هو أننا نؤمن بأن فى هذا التراث أنصارًا لهذا التطوير ، وأعلامًا أجلاء ، هم على طريق دراساتنا النحوية منارات هادية وعلامات طريق تستحث خطانا لنتسلم منهم المشعل ونكمل الشوط الذى قطعوا فيه العديد من الخطوات . . بل لانغالى إذا قلنا : أنهم يمدوننا بعناصر غير قليلة يمكن أن تساعدنا فى صياغة المنهج الأكثر دقة والأكثر أمنًا فيما نريد أن نقدم عليه من تجديد وتطوير . . بل ويقدمون لنا « سوابق تاريخية » تساعدنا على الإجهاز على بعض الدعوات الرجعية الجامدة ، ولا نقول المحافظة ، والتى ترفض أى تطوير لنحونا العربى بحجة أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان . .

وفى مقدمة هؤلاء الأعلام الذين نعنيهم ذلك الرائد العملاق «أبو الفتح عثمان بن جنى» (٣٣٠ - ٣٩٢هـ ، ٩٤١ - ١٠٠١ م) .

* * *

على أننا نود قبل أن ننهى سطور المقدمة هذه أن نعترف بأن عنوان هذا البحث : (المنهاج العقلى فى دراسات العربية) - كما يبدو فى كتاب (الخصائص) لابن جنى - إن هذا العنوان إنما هو بالتأكيد أكبر من هذا البحث الذى نتقدم به الآن . فليس هذا البحث بالذى يستطيع أن يوفى هذا الموضوع حقه من الدرس والاستقصاء ، ولا هو بالذى يستطيع أن يشفى غلة الباحث المتخصص فى هذا الموضوع ، وليس مرجع ذلك هو الاختصار الكمى ، وصغر حجم هذا البحث فقط ، بل وكذلك الاختصار فى كمية الجهد الذى بذل فيه . .

وليس هذا الاعتراف نوعًا من التواضع الذى تواضع الباحثون على سوقه فى مقدمات بحوثهم فى العادة أو فى غالب الأحيان ، وإنما هو نوع من الاعتراف بالحقيقة يدفعنى إليه التقدير الكبير لابن جنى وما فى كتابه (الخصائص) من جهد عظيم وإضافات جديدة فى ميدان الدراسات النحوية ، وأيضًا التقدير الموضوعى للمسئولية التى يتحملها الإنسان الجاد إذا ما أخذ على عاتقه أن يوفى مثل هذا الموضوع حقه من البحث والاستقصاء . .

غير أنى مع هذا أشعر بقيمة كبرى لهذه الصفحات التى أتقدم بها . . وذلك لأسباب عدة أهمها :

أولاً : أننى لا أدرى إذا كان أحد قد تناول هذه الزاوية من زوايا دراسة ابن جنى لعلم النحو أم لا . . فإن كانت لغتنا قد حفلت

بدراسة أو دراسات في هذه النقطة المحدودة فإن لي شرف سلوك الدرب الذي أرجو لكثير من دارسي نحونا السير فيه ، وإلا فإن لي شرف إثارة الموضوع ، مجرد الإثارة على أقل تقدير .

ثانيًا : أنني بهذه الصفحات أستجيب لرغبة نشأت ثم اعتملت في نفسي طوال قراءتي عن المعتزلة خاصة ، وبشكل أعم عن الذين استخدموا المنهج العقلي ، وأعلوا من شأن العقل في تراثنا العربي الإسلامي طوال تاريخنا الطويل .. إذ قرأت عَرَضًا : أن أبا علي الفارسي ، وتلميذه ابن جني ، بل وابن جني بالذات ، كان من أبرز الذين طبعوا دراستهم للنحو بالطابع العقلي الذي لايخفى على متصفح لكتابه (الخصائص) فضلاً عن دارسه الجاد ، وهذه الرغبة كانت تلح علي أن أطرق هذا الموضوع .

ثالثًا : أنني أرجو أن تكون هذه الصفحات عهدًا على نفسي لأوفي هذا الموضوع حقه في يوم من الأيام ..

الكوفة والبصرة

مدينتان ومدرستان

أنا لا أريد أن أقول أن ابن جنى كان وحيد عصره ، وفريد زمانه ، والبحر الذى تفرد بعلم مالم يحط به عالم ممن سبقوه أو نسجوا على منواله ، على عادة ما كانت تصنع كتب التراجم التى حفل بها تراثنا ، ومقدمات التقريظ التى كنا نطالعها وصفًا للكُتُب والكُتّاب قبل أن يحل النقد الحديث محل هذا التقريظ . .

وذلك لأنى أعتقد أن الإنسان ، أى إنسان ، والعالم ، أى عالم ، إنما هو ابن عصره ومجتمعه وبيئته وحضارته ، وأن عبقريته ونبوغه إنما تقاس باكتشافه للجديد الذى يضيفه إلى تراث أمته وحضارتها ، واستخدامه الأسلحة والأدوات الفكرية التى أبدعتها هذه الأمة فى حل المعضلات التى تواجه الفكر الإنسانى ، ومن ثم إغناء وإثراء هذا الفكر بالمبتكر والجديد . .

ومن هنا كان ابن جنى ، كما أعتقد ، ثمرة للعقل العربى الإسلامى الذى ساد مجتمع البصرة فى القرن الرابع الهجرى ، وإضافة خلاقة لهذا العقل . . كان ثمرة طبيعية ، ليس فيها شذوذ ، بل ولا إعجاز ، لأنه كان من نوع الثمار التى هيئت هذه المدينة ، ذات البيئة الفكرية العقلية ، لكى تثمرها وتنضجها وتقدمها إلى الناس . .

ونحن نعلم أن الخلاف بين الكوفة والبصرة ، لم يكن عصبية مكانية ، وإن تكن هذه العصبية قد لعبت دورًا في الموضوع .. ولا كان اختلافًا في نسب القبائل التي قطنت كلا منهما ، وإن كان بعض الباحثين يعطي هذا العامل كبير وزن في هذا الخلاف .. وذلك لأن هاتين المدينتين اللتين أصبحتا مدرستين فكريتين لم تكن علومهما ولا اختلافاتهما مقصورة على حدودهما ، بل إن الدارس في التراث العربي بفروعه العديدة ، يستطيع أن يلمس الملامح المميزة لكل مدرسة منهما في الفكر العربي الإسلامي لا في العراق فحسب ، بل وفي الشام ، ومصر ، والمغرب ، بل والأندلس أيضًا .. ومن ثم فلابد لنا من أسباب جدية تصلح أن تكون تبريرًا وقاعدة ترتكز عليها هذه الاختلافات ، وهذا التباين والتمايز في الملامح الفكرية ، ومن ثم تبريرًا لهذا الشمول والعموم ..

ونحن مع الذين يرون أن البصرة قد ورثت تراثًا عقليًا منذ ما قبل الإسلام كان معينًا لها على أن تطبع فكرها ومدرستها بهذا الطابع العقلي الذي أورثتنا إياه .. وأنها كبيئة بحرية وتجارية كان لها من ذلك ما أعان على نضج واكتمال فكرها في هذا الاتجاه .. وأنها كانت في ذلك - على وجه الإجمال - على عكس الكوفة التي امتازت بالعلوم والمناهج التي لاتعطي الصدارة للعقل في دروب البحث والتحصيل . ولقد انسحب هذا التمايز بين المدرستين ، وكان لابد أن ينسحب ، على الدراسات النحوية «فالنحو البصري هو في حقيقته مظهر من مظاهر الطابع العقلي الغالب على البصرة»[1] .

---

[1] طه الحاجري (الجاحظ ، حياته وآثاره) ص ٣٧ ـ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢ م .

وإذا كان بحثنا هذا سيقدم ابن جنى دليلاً على هذه الدعوى ، فإننا نجد فى عالم نحوى آخر مثل « الكسائى » (١١٩ ـ ١٨٩هـ ـ ٧٣٧ ـ ٨٠٤م) وفى منهجه فى الدراسات النحوية النموذج الصادق والمعبر الأمين عن ذلك الطابع الذى طبعت به الكوفة «نحوها» ، وهو الطابع الذى لم يكن ثمرة لإحلال العقل فى هذا المضمار المكان الذى أحله إياه البصريون .

فالكسائى يهتم باللفظ أكثر مما يهتم بالمعنى ، وبتعبيرنا الحديث : يهتم بالشكل أكثر من اهتمامه بالمضمون ، ونحن نعلم أن الارتباط بين العقل والمعنى ، بين العقل والمضمون ، إنما هو أوثق وأكثر من الارتباط بين العقل والألفاظ . .

ولكن الكسائى يستخدم القياس فى الدراسات النحوية ، ولا يركن فقط إلى السماع ، فهو يختلف عن رواة الحديث وعلمائه ، وعن أهل الظاهر من الفقهاء ومفسرى القرآن ، بل إننا نراه يعبر عن مذهبه ومنهجه فى النحو فيقول :

إنما النحو قياس يتبع   وبه فى كل أمر ينتفع

فكيف نضعه فى هذا الإطار ؟؟ . .

ورغم أننا لا نود الاستطراد والتفصيل فى هذا الأمر ، إلا أننا نورد هنا استشهادين يستقيم بهما ما قلناه فى هذا الموضوع .

فابن درستويه (٢٥٨ ـ ٣٤٧هـ ، ٨٧١ ، ٩٥٨م) يقول : « **سمع الكسائى الشاذ الذى لا يجوز إلا فى الضرورة ، فجعله أصلاً يقيس عليه ، فأفسد النحو بذلك !** » (١) .

---

(١) (دائرة معارف الشعب) م ٢ ص ٣٨١ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩ م .

ونحن لا نريد أن نوافق من ترجمة على أن الكسائي قد [illegible] النحو [illegible] هو أن [illegible] المنطق [illegible] الشيء " [illegible] " أصلاً " في هذا النحو [illegible] الكسائي كان [illegible] لأنهم [illegible] وطرق كان هو " الأصل " [illegible] من أنواع [illegible] جعل منه الكسائي [illegible] [illegible] المنحوية

ومن [illegible] في هذه القصة التي يرويها " [illegible] " [illegible] يقول : " كان أبو يوسف يقع في الكسائي ويقول : أي شيء يحسن ؟ إنما يحسن شيئاً من كلام العرب . فبلغ ذلك الكسائي ، فالتقيا عند الرشيد ، وكان الرشيد [illegible] ١٩٣هـ ٧٨٦ - ٨٠٩م) يعظم الكسائي لتأديبه ولده ، فقال لأبي يوسف : [illegible] في رجل قال لامرأته : أنت طالق طالق طالق ؟ قال : واحدة . قال : فإن قال لها : أنت طالق أو طالق أو طالق ؟ قال : واحدة . قال : فإن قال لها : أنت طالق ثم طالق ثم طالق ؟ قال : واحدة . قال : فإن قال لها : أنت طالق وطالق وطالق ؟ قال : واحدة . فقال الكسائي : يا أمير المؤمنين ، أخطأ في اثنتين ، وأصاب في اثنتين . أما قوله : أنت طالق طالق طالق ، فواحدة ؛ لأن الثنتين الباقيتين تأكيد ، كما تقول : أنت قائم قائم قائم . وأما قوله : أنت طالق أو طالق أو طالق فهذا شك ، فوقعت الأولى التي تتيقن [illegible] وأما [illegible] فثلاث لأنه نسق !! "

[illegible] ٢٠٢ - ٢٠٣

[illegible] في هذه [illegible]

ذهبنا إليه في هذا الأمر الذي نحن بصدده

الأول [illegible] ١١٣ [illegible] ١٩٢ هـ [illegible] ٢٠٣ [illegible] ٩١ [illegible]

[illegible] الكسائي [illegible] الفرق [illegible]

[illegible] الكسائي في [illegible]

الثاني [illegible] الكسائي [illegible] يوسف [illegible]

[illegible] الكسائي [illegible] يوسف [illegible] اليوم [illegible] يوسف [illegible]

[illegible]

الكسائي [illegible] الفروق [illegible]

[illegible] لأنه [illegible] هذه [illegible]

[illegible] في [illegible]، [illegible]

هذا الكتاب [illegible] ولم يعن هذا [illegible]

[illegible] حتى في [illegible]

كان يعوزه هذا الطابع⁽¹⁾».

* * *

ولم يكن [illegible] محمود [illegible] فصيحة [illegible]

[illegible] بالإضافة [illegible]

[illegible] على [illegible] في

[illegible] إلى [illegible] الأ [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible] ولا [illegible] على خلاف [illegible]

[illegible]»⁽²⁾

وكان أول [illegible] العقلي الذي [illegible] في

أهم قضايا العقيدة، وفي مقدمتها قضية التوحيد [illegible]

[illegible] عز وجل [illegible]

أفعال العباد [illegible] أولى [illegible] العقلي [illegible] إلى

[illegible] وهو [illegible] قد [illegible]

---

(1) د. طه الحاجري (الجاحظ حياته وآثاره) ص ٣٧

(2) (موسوعة الفلسفة مختصرة) ص ٣٢٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م.

ولم تكن هذه المدرسة مجرد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن [illegible] والإغريق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أكثر فكر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] الإسلامي [illegible] [illegible] مدرسة عربية أصيلة استفادت من الثقافات و حضارات والتراث عن [illegible] [illegible] الغرب وشرح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأصمعي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (١٥٠ - ٢٥٥هـ / [illegible] ٨٦٩م) وهو أحد أعلام المعتزلة، وأحد الذين [illegible] [illegible] حتى [illegible] في هذه الأصالة التي امتازت بها هذه المدرسة [illegible] [illegible] إعجابه بأرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) الذي يسميه «صاحب المنطق» لأنه أكثر من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] «زعم صاحب المنطق [illegible] ثم يحكي شيئا [illegible] [illegible] أرسطو» ثم يعقب [illegible] وهذا كلام غير صحيح [illegible] [illegible] في [illegible] الأوائل ولا الأواخر» وكثيرا ما يكون [illegible] [illegible] [illegible] أرسطو [illegible] ملاحظة [illegible] [illegible] وهي من [illegible] [illegible] العقل العربي الإسلامي [illegible] فكر [illegible] الإغريق.

ونحن [illegible] نحرص على تأكيد هذه الحقيقة [illegible] [illegible] منطق أرسطو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في عصر [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) دائرة معارف الشعب) م ٥ ص ٢٩٩

هذه [illegible] [illegible] [illegible] يمكن [illegible] ونستطيع [illegible] منهج [illegible] [illegible]
ابن جني [illegible] [illegible] لأن الخروج على هذا المنطق
العقلي كان [illegible] ولأن هذه المدرسة [illegible] تعرف
الاعتزال [illegible] هذا [illegible] [illegible] الإنساني ،
ويبدو أن ابن جني هذا كان صاحب شخصية مستقلة حتى مع
كثير من المعتزلة ، [illegible] كان [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] ومن هنا فإن الإشارة إلى أصحاب نظرية [illegible]
العقلي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى
أصالة [illegible] في منهج ابن جني ، كما [illegible] [illegible]
جني

* * *

وقد كان النضج العقلي للبصرة مثل الإطار الذي اكتنف حياة
ابن جني وثقافته [illegible] وقد كانت مدينة البصرة [illegible] [illegible]
يكثر فيه [illegible] [illegible] ومركز [illegible] [illegible]
هذين العاملين لم يكونا وحدهما أصحاب الفضل في هذا النضج
العقلي الذي تمثل في عقله الكبير [illegible] فابن جني قد عاش أخصب
السنوات التي شهدت فيها البصرة قيام تلك الجماعة الفلسفية
الخطيرة الشأن والتي عرفت باسم (إخوان الصفاء وخلان الوفاء)
والتي تأسست في البصرة حوالي ٣٣٠ هـ [illegible] ٩٤١ م [illegible]
جني في الثلاثين من عمره .

ونحن نعلم أن هذه الجماعة الفلسفية العقلية التي أثرت أيما تأثير في الفكر العربي الإسلامي بما كتبت رجالها من مصنفات شيعية إسماعيلية، وإن سلمنا بشهرة ما كتبت [illegible] فكرية أنه عليها [illegible] المعتزلة في مواطن كثيرة [illegible] [illegible] !! [illegible] في [illegible] كانوا يدعون [illegible] سياسي [illegible] على [illegible] الإسلامي [illegible] ، وهم يوجهون إلى ذلك النظام السياسي المسيطر على [illegible] ، وهم يتكلمون في ذلك [illegible] جماعات سبقتهم في عالم قديم أظهرت جماعة المعتزلة في [illegible] الإسلامية [illegible] [illegible] ، [illegible] الإسماعيليون إلى وجود [illegible] تمكين لهم في بعض الأرض "[2]

فكيف كانت هذه الرسالة الشيعية الإسماعيلية جد معتمدة [illegible] التي أثرت في الفكر [illegible] على مذهب الشيعة والمعتزلة من خلالها ؟؟

[illegible] في [illegible] العقلي [illegible] [illegible] الذي [illegible] العقلية والفلسفة [illegible]

---

[1] [illegible] ٣٣ [illegible]

[2] [illegible]

[illegible] الوحيد [illegible] أبو حيان التوحيدي المتوفى سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) [illegible] في [illegible]

[illegible] ابن جني في كتاب الخصائص [illegible] على [illegible] من [illegible] لا [illegible] من فوق [illegible] في [illegible]

---

(١) [illegible] تاريخ العرب) ج ٢ ص ٤٥٦ [illegible] ١٩٥٣ م

(٢) [illegible]

(٣) [illegible] دائرة معارف الشعب) م ٥ ص ٤

فإذا علمنا أن ابن جني قد توفي ٣٩٢ هـ (سنة ١٠٠١ م وأن أبا حيان التوحيدي قد توفي ٤١٤ هـ (سنة ١٠٢٣ م) ، علمنا أن ابن جني قد عاصره ، إن لم يكن عاشره ، ويبدو أن فكرة « [illegible] » [illegible] ، وأنه قد تأثر بهذا الطابع لدى [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] ، بل إن كتابه « الخصائص » ليؤكد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يقول إن هذه الجماعة كانت تعيش للنشاط الذي أثر في ابن جني [illegible] كانت [illegible] ونشره [illegible] [illegible] ، [illegible] ، وهذه الجماعة الفلسفية السياسية التي أثرت فيه وفي عصره أبلغ التأثير

من هو ابن جني ؟؟

و[illegible] كان فضل [illegible] كان ابن جني ليحظى على معاصريه ، ولا يحتجب عن علمه ، ولأننا نعرف الذين كانوا أكثر جهداً نحو نشأة العلوم وتطورها

فنحن نقرأ في معجم الأدباء لياقوت الحموي أن المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ ، ٩١٥ - ٩٦٥ م) كان يعجب بأبي الفتح بن جني ويقول: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس[1] وقد عرف عن المتنبي أنه كان [illegible] في الثناء على معاصريه ، وأنه كان يذكر في أكثرهم جحوداً ولا [illegible] لا يحتج بشعر [illegible] في [illegible] [illegible] لم يكن [illegible] عصره ولذلك كانت الشهادة هذه لابن جني قيمة أكبر [illegible] معاصريه [illegible]

وأولى [illegible] أن المتنبي لم يكن مجرد شاعر فحل ولا أمير [illegible] في عصره ، وإنما كان صاحب فكر وتجارب [illegible] في الفلسفة والحكمة مقام غير قليل

وابن جني حسب تحديد ياقوت لتاريخ ميلاد ابن جني بسنة ثلاثين وثلاثمائة هجرية (٩٤١ م) ووفاته سنة ثنتين وتسعين وثلاثمائة هجرية (١٠٠٢ م) في خلافة القادر العباسي [illegible] كان من أحد أشهر الأدباء وأعلمهم بالنحو والتصريف ، وصنف في ذلك [illegible] في [illegible] [illegible] على [illegible]

---

[1] كتاب [illegible] التصغير طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣ م

وعلى الرغم من أن [illegible] بن عطاء قد ولد وعاش في خلافة بني [illegible]

[illegible] السياسية [illegible] فيه [illegible] ، و[illegible]

الفكرية فيه لأهل الحديث ، وألف كتبه في [illegible]

[illegible] قبل عهد [illegible] الفكر العربي الإسلامي ، بل هي التي

أثرت في فهم أهل السنة من المعتزلة ، الذين احتضنتهم الدولة

[illegible] في عهد المأمون والواثق والمعتصم ، على الرغم من أن

[illegible] بين يدي كتابه [illegible] الخصائص [illegible]

[illegible] الفكري [illegible] في [illegible]

[illegible] " [illegible] هذه [illegible]

لأن [illegible] التي [illegible] بن عطاء [illegible]

من [illegible] ، و[illegible] الإعجاب [illegible]

[illegible] من [illegible] التي [illegible] من كتابه الخصائص

[illegible] العلمي [illegible] ، و[illegible]

في شهادة [illegible] بن عطاء [illegible] إلى أن [illegible]

[illegible] ، [illegible] من [illegible]

لأن [illegible] بن عطاء في الرابعة والعشرين من عمره

وفي ذلك [illegible] على أن عمر [illegible]

في ذلك [illegible] الفكري [illegible] هذه [illegible]

---

[٢] [illegible] بن [illegible] ٢ [illegible] وفي هذه [illegible] التي [illegible] لا [illegible] [illegible] التي [illegible] في « التوحيد » و « العدل » ، وهم الذين [illegible] أهل العدل والتوحيد.

منهج البحث فى (الخصائص)

ومن هنا لا بد أن نستكشف منهجه الفريد في البحث والدراسة من خلال تناوله لمقصد العديد من بحوث كتابه الكبير، وقد نقتصر على أن كتاب هذه خصوصيته في إبراز هذا المنهج من خلال طريقة الشروح التي تطالعنا في كل صفحة وفي كل باب.

ولقد عني عناية بتحديده في وضوح واستقامة منهجه وسلامته ويتحدث عن منهجه في كتابه هذا فيقول: «إن هذا الكتاب ليس مبنيًا على حديث وجوه الإعراب، وإنما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام، وكيف بدئ وإلام نحي، وهو كتاب يتساهم ذوو النظر من المتكلمين، والفقهاء، والمتفلسفين، والنحاة، والكتاب، والمتأدبين، التأمل له، والبحث عن مستودعه، فقد وجب أن يخاطب كل إنسان منهم بما يعتاده، ويأنس به، ليكون له سهم منه، وحصة فيه»[1] فهو ليس كتاب «نحو» يكشف مسائله وقضايا النحو، بقدر ما هو كتاب يوضح فلسفة النحو ويبحث عن «أوائل أصول هذا الكلام» ثم هو يوضع للمشتغلين والعلماء بالعربية جميعهم، ومن هنا فلابد وأن تكون الوشائج بينه وبين سائر ألوان الفكر العربي شديدة الاتصال.

وكتاب له هذه الخاصية المهمة والحيوية، لابد وأن تكون المكتبة العربية في أمس الحاجة لوجوده، ولابد وأن يكون عليه [illegible]

---

[1] المصدر السابق ص ٨

ويمثل الخصائص بحق معلمة الدرس النحوي عند ابن جني في دراسة هذا الموضوع، إذ لم نجده يتحدث بفخر وعجب عن كتابه هذا، ووصفه بأنه "من أشرف ما صنف في علم العرب، وأذهبه في طريق القياس والنظر ... وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة، ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة، فكانت مسافر وجوهه، ومحاسر أذرعه وسوقه تصف لي ما اشتملت عليه مشاعره، وتحمي عليّ ما خيطت عليه أقرابه وشواكله، ويريني أن تعريده (١) كل من الفريقين البصريين والكوفيين عنه، وتحاميهم طريق الإلمام به ... إنما كان لامتناع جانبه ... وذلك أنا لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لعمل أصول علم النحو، على مذهب أصول الكلام والفقه (٢)

وهكذا كان ابن جني يحدد لنفسه منهج بحثه، ومن ثم مهمته في بحثه من وراء تأليف هذا الكتاب، كما حدد موقفه بأنه [illegible] انطلاق بدعوة منهج علمي والثقة بالنفس، في الارتقاء فوق العصبية المقصورة ضد الكوفة فيقدم على توجيه نقده إلى [illegible] شيوخهم من قبل [illegible] فيقحمه هو، وهذي قد ألف الخصائص (كما يقول رحمه الله) ليحوي بين دفتيه هذا الجهد العلمي النبيل .

وحتى نستطيع أن ندرك صدق ابن جني في حديثه هذا لابد من نظرة في صفحات كتابه هذا وبوبه، ولابد من وقفة ولو قصيرة عند بعض ملامح ومميزات التي تؤكد قيمة هذا الكتاب في الفكر والأصل لدى العرب وجودة فهمه

---

(١) تعريد : هرب وفرار

(٢) الخصائص ، ص ٣٠ ، ٧

الخلق والإبداع

نعم لا نكون منصفين لابن جني، ولا موفين حقه وقدره في اللغوي موضوعي، بل ولا دقيقين في تعبيرنا إذا نحن حصرنا جهوده الذي أودعه كتابه الخصائص فيما يمكن أن ندرجه تحت عنوان "تطوير" و"التجديد" [illegible] ذلك لأن الذي قدمه ابن جني كان أكثر من ذلك، وعلى سبيل المثال فقد كان عمله هذا خلقًا جديدًا وإبداعًا لم يسبق إليه في العربية بشكل متكامل، وعملًا جديدًا يتقدم به إلى الناس مستوفيًا خصائص علم جديد ونشأته.

ومن ثم فكان لابد لابن جني أن يواجه مهمة أصعب من تلك التي يواجهها المجددون في العلوم، وكان لابد له من أن يكون لا يجد غضاضة في التحدي، وألا يرهب الخلق والإبداع.

ونجده يحكي لنا صورة من ذلك التحدي، والإلحاح، وعصبة من بنات حججه، حين كانت ترمي في طريق الناس مشرعة الأبواب التي لم تطرق من قبل، أو يصححون مقولته التي ظن الأقدمون أنها لن تصبح في يوم من الأيام، فيقول: " [illegible] في أصحاب يبدع فينشئ خلافًا ما، على أهل مذهبه، فإذا سمع خصمه به وأجلب عليه، قال: هذا لا يقول به أحد من الفريقين [illegible]، فيخرجه مخرج التقبيح له، والتشنيع عليه [illegible] ولعمري إن هذا ليس بموضع قطع على خصمه [illegible] لأن للإنسان أن يرتجل من المذاهب ما يدعو إليه القياس، ما لم يلو بنص، أو ينتهك حرمة شرع".

---

(١) يريد الكوفيين والبصريين

(٢) الخصائص، ص ١٩٥ - ١٩٦

ونحن [illegible] من [illegible] كيف تكون ثورة [illegible] ، وكيف تكون [illegible] لا [illegible] محكومة [illegible] العصر والشمس ، وكيف [illegible] شيء [illegible] دون [illegible] سوى " [illegible] النص [illegible] سوى [illegible] " كما [illegible] في [illegible] دون [illegible] الشرع [illegible] العلم

ومن [illegible] الخصبة ، التي لا [illegible] ، والتي [illegible] قاعدة [illegible] لا [illegible] منصوص [illegible] على منصوص [illegible] لم [illegible] فلا تكون [illegible] في [illegible] ولا [illegible] لا [illegible] على [illegible] إلا أنه مع هذا لدى رأسه ، [illegible] على مخالفة [illegible] لا [illegible] عرفه ولا يحيد إلى سانح خطره ؛ ولا إلى [illegible] وقد قال [illegible] شيء [illegible] في [illegible] ولا [illegible] على [illegible] ، [illegible] علامات ومعالم الطريق

[illegible]

وهي عبارات واضحة وقاطعة في الاحتجاج ، ولكن تجدر الإشارة إلى تفسيره الذي يقول فيه : " والمقيس على المنصوص " لأنه يصح فيه مذهب ابن جني الذي يفرق بين المقيس على النص وبين القياس كمعيار عقلي ، والأول قد سمعته العرب فلا فصل فيه بتصوره عنهم ، أما الثاني فقد كان أوضح ما يكون في البصرة ، وأكثر وضوحاً مع المعتزلة ، وهو الذي أخذه ابن جني ممثلاً للمدرسة النحوية فكان أداة التجديد والتطوير والإبداع الذي سبق إليه الكثيرين

الاستقلال في الرأي

وقد كان صاحبًا ومعتقدًا مع هذا المذهب الذي ذهب إليه من حسن الظن في الحق والإنسان، لم يكن صاحب عصبية مغلقة وتابع معمر، ولا يدع لمدرسة عليه سلطانًا إلا بمقدار حظ حججها من موافقة المنطق العقلي، ولا يسمح لمذهب أو جماعة أن «تحتويه» فكريًا، فيعتبره أتباعها دون اقتناع، أو يدافع عن بعض ما لا يراه مقنعًا من حججها حتى وإن كان يرى في حجج أخرى ما يقنع، ومن هنا جاء التسامي والاستقلال.

ولقد انتقد النحويين الكوفيين والبصريين على السواء حين أشار إلى عروضيهم وفرارهم من دراسة هذا العلم الذي فتح هو سبيله يدرس فيه. كما أنه يقف موقف المتحرر من الأئمة يرى الجماعة ولا يرى عصمتها من الاجتماع على الخطأ. كما نجده وهو المعتزلي الذي يتحدث عن الجاحظ، وهو أحد أعلام المعتزلة في عصرهم المتوسط بكثير من الاحترام والتقدير إزاء الجماعة ولا يهادنه إذا ما خالفه في أي رأي. فهو مثلاً يعيب «المحكي عن الجاحظ» أنه قال في النحويين: إن أفعل الذي مؤنثه فعلى لا تجتمع فيه الألف واللام ومن، وما عرض من الألف واللام نحو قولك: الأفضل، وأفضل منك، والأحسن، وأحسن من جعفر، ثم قال: وقد قال الأعشى:

فلست بالأكثر منهم حصى ... وإنما العزة للكاثر

[illegible] ص ٤٢

[illegible] خلقتين ، أما أنه [illegible] من [illegible] في هذه [illegible] الأسباب التي تصحب [illegible] للمبالغة نحو [illegible] ، [illegible] [illegible] عن هذا [illegible] [illegible] فيه [illegible] وصحته خصائصه ، وذلك أن [illegible] في بيت الأعشى [illegible] كما في [illegible] الناس [illegible] فكأنه [illegible] من [illegible] فيهم الأكثر خلص "

وهذه الإشارة التي نستشهد بها [illegible] من كلام ابن جني ليست ضعيفة اللغة ، ولا قليلة الدلالة ، ولا قاصرة في معرض [illegible] على استقلال شخصيته ، [illegible] أن ابن جني كما قدمنا ، كان معروفا في عصره [illegible] معروفة ، فكان من الطبيعي أن [illegible] وتلاميذه ومفكروهم بعضهم نحو بعض [illegible] شعور [illegible] بشخصيته ، وهذا الشعور [illegible] كما [illegible] فكرية كانت أو [illegible] ، وهو [illegible] عن [illegible] مختلف من [illegible] ، [illegible] أن [illegible] إليهم [illegible] من العرب ، ولكن هذا الشعور [illegible] من [illegible] ابن جني ، من [illegible] لأن [illegible] كان [illegible] ابن جني ، [illegible] فكرية [illegible] من الأخوة [illegible] أو طالبين [illegible] هو [illegible] الفكرية [illegible] من شخصيته [illegible] لا بما تؤمن به صحيح الإيمان.

---

(١) الخصائص ص ١٩٢ ، ١٩٣

مستوى البراهين النحوية

ومكان النحو من تصنيف العلوم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible] العلم

وليس كذلك حديث علم الفقه، وذلك أنها هي أعلام وأمارات وقوع الأحكام، ووجوه حكمة فيها [illegible] عن العقول [illegible] الصحيحة [illegible]، ألا ترى أن ترتيب مناسك الحج، وفرائض الطهور، والصلاة، والطلاق، وغير ذلك، إنما يرجع في وجوبه إلى ورود الأمر بتعيينه(1) ولا يعرف عدد خمس صلوات في اليوم والليلة خمساً دون غيرها من العدد، ولا يعلم أيضاً [illegible] حكمته ومصلحته في عدد الركعات، ولا في اختلاف ما فيها من التسبيح والتلاوة إلى غير ذلك مما يطول ذكره، ولا يخفى [illegible] معرفة الحساب [illegible] كل ذلك له ومن أحكمه، وليس كذلك علم النجوم".

ثم يعود [illegible] شأنه شأن العلم الدقيق [illegible]، فيحدد بدقة مكان علم النجوم من علم الكلام، فهو وإن كان [illegible] مبنياً على علم [illegible]، إلا أنه لا يرقى [illegible] المستوى البرهاني الذي يتمتع به علم أهل الكلام، بل يقول: "ليست تدعي أن علم أهل العربية في [illegible] بعض الكلامية [illegible] تدعي أنها أقرب إليها من بعض الفقهية"(2) وهو يعني ذلك أنها [illegible] علم المتكلمين، ولا علمها براهين المهندسين"(3). ثم يضرب [illegible] مثلاً [illegible] ذلك [illegible] ومن علم أهل الكلام، فيتحدث عن علم النحو [illegible] بأنه [illegible] يكشف [illegible] كل ذلك [illegible] على علم [illegible] ومستقلاً [illegible] تكمن تصحيح [illegible]

---

(1) المصدر السابق ص ٤٦، ٤٧.

(٢) [illegible] ص ٥٢

(٣) المصدر السابق ص ٩

فقط [illegible] ووقعه [illegible] فلسفة [illegible] على المتكلمين ، لأنهم

لا قدرة على غيره ، لأن [illegible] جميع الموجود والله [illegible] في [illegible]

وحده [illegible] لا [illegible] ويكون [illegible] متحرك [illegible] في [illegible]

وحده فاسد ، لأصول في الظهور ، ولا في [illegible] ، و[illegible]

كل من هذه المذاهب ، [illegible] أخر على [illegible]

على المتكلمين ، [illegible] على [illegible]

وهكذا نجد أن ابن رشد قد [illegible] من خلال نقده [illegible]

النحو [illegible] على [illegible] على [illegible]

الفقه ، [illegible] العربية [illegible] ، [illegible]

حتى علوم العربية ، في [illegible] العلوم ، وكذلك [illegible]

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٨ ، ١٤٩

النظرة الكلية

[illegible] أشرنا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الألفاظ النحوية والأحوال التي تطرأ عليها ، والظواهر الإعرابية [illegible] [illegible] [illegible] وعلاقاتها ، [illegible] [illegible] الجمل النحوية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تفصيلات [illegible] [illegible] [illegible] عمومها وشمولها وكليتها [illegible] [illegible] [illegible] نظرة واحدة [illegible] ويعرف في كل جزئية على حدة دون [illegible] [illegible] بعضها ببعض بهدف التعميم والشمول

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] "[illegible]" [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] علاقاتها " [illegible] " [illegible] [illegible] كل الحروف [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قد سبق وأشرنا إلى أن هذا النحو في الدراسة النحوية قد سلكه [illegible] [illegible] [illegible] في هذا [illegible] [illegible] بحصر في الألفاظ وعلاقاتها و الحروف وشبهها ، و الحركات و[illegible] ، علاقات جديدة ، ونوعًا من التبادل والتوافق [illegible] في عدد المحددة في منهج البحث و [illegible] لا

[illegible]

في الدرس اللغوي [illegible] في العصر الحديث [illegible] فهو [illegible]
يتحدث عن علاقة الحروف بعضها ببعض و[illegible] بعضها
ببعض [illegible] «فكما يحسن تآلف حروف متقاربة [illegible]
يحسن [illegible] الأحرف [illegible] على [illegible] لا [illegible]
[illegible] في [illegible] فعل [illegible] [illegible] كم
[illegible] و[illegible] وسكون [illegible]
اللام، أحول، مع اختلافها، متقاربة»(١)

وهو يتحدث عن [illegible] من [illegible]
[illegible] إلى آخر كما [illegible] وهو
[illegible] على علاقات مشتركة [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] شيئا من شيء [illegible]
[illegible]
و[illegible] لا مصرف [illegible]
[illegible]
فأخروه»(٢)

[illegible] في [illegible]
[illegible] في هذه [illegible]
[illegible] الأصوات [illegible]
[illegible] الأصل على الفرع [illegible]

---

(١) الخصائص ص ٩٥
(٢) [illegible]

يعلون المصدر لإعلال فعله ويصححونه بتصحيحه ، وذلك نحو قولك : قمت قياما ، وقاومت قواما »[1]

ثم يمضي ابن جني في كثير من صفحات كتابه يسوق هذه الأمثلة تلو الأمثلة التي تؤكد تبني النظرة التكاملية عنده في دراسته للظواهر النحوية ، كما يؤكد سبق هذا العالم الجليل إلى مسألة من وسائل البحث وهي عنصر من منهج التعليل في البحث يحسب كثير من دارسي الفلسفة والمنطق حتى في بلادنا أنه لم يكتشف إلا في أوروبا عصر النهضة ، وعند الفيلسوف الألماني « هيجل » (١٧٧٠ - ١٨٣١ م) على وجه التحديد .

---

[1] [illegible]

الاهتمام بالجزئيات

وقد كان ابن جني، مثله مثل المحققين العظيمين، يعنى حديث بهذه الكلمة، لأنهم لا يهملون المسائل والعناصر الجزئية ركونًا منه إلى التصور الكلي والتعميم للمسائل، ولا يكتفي بالتعميمات التي تقدم في شكل قوانين وقواعد وتعريفات مستغنية بها عن تتبع جزئيات مندرجة تحت هذه القوانين والتعميمات والتعريفات بل إنه كان يصل إلى هذه التعميمات ومسائل الكلية عن طريق جزئيات وتتبع أجزائها، ولا يطمئن إلى صلاحية ما يدرجه تحت هذه العناوين الكلية والأحكام العامة والقواعد والقوانين.

وكثيرًا ما كانت ممارسته هذه كان همه منها أن يكون التعريف أو القاعدة جامعة مانعة بمعنى أكثر دقة وصحة بعد كثرة الجزئيات.

فنحن قد تعلمنا من النحاة الذين لم يسلكوا في البحث مسلك ابن جني أن "الواو" و"الياء" إذا اجتمعتا وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء، وأدغمت إحداهما في الأخرى نحو سيد [illegible] تعميمات ثابتة، وفقط، ويذكره معظم كتب النحو وفقط. ولكن ابن جني لا يجد مثل هذه القاعدة أمرًا مقبولًا وهو يتتبع جزئيات هذا الباب فيجد تخلف هذه القاعدة عن أن تشمل عددًا من الجزئيات في كثير من الأحيان، فيضيف قيدًا إلى هذه القاعدة في هذا الباب، ثم كشف أن ذلك فيغير معه هذه الصورة "الواو" فقد شرطت واختصصت في أن تكون الواو ياء، [illegible] مع ما في بحث [illegible]

وحيد، وشويت [illegible] وبيت لبث، وقد [illegible] قالوا: [illegible] [illegible] وقالوا [illegible] [illegible]، وقالوا في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قس طرف؟؟. فماذا نقول في هذا ونحوه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، ولا مرد [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] محمولا على تكسير، فإن الواو منه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أسقطت [illegible] الإ[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأعلام [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] أحكامه، ولـ[illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وحده.

وعلى [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من المعرفة [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] "[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] في [illegible] [illegible]"

[illegible]

[illegible]

[illegible] كثيرا ، يؤكد [illegible] عن طريقه وجوب

[illegible] ، وكيف أن ذلك هو الطريق

لأكثر [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] صدق المقدمات في

[illegible]

[illegible] بشكل [illegible]

اللفظ والمعنى

أو: الشكل والمضمون

في [illegible] التي [illegible] من حولها [illegible] في كثير من [illegible] الثقافية [illegible] في [illegible] الأدبية والنقدية [illegible] حديث كثير عن قضية اللفظ والمعنى، أو الشكل والمضمون.

ولكن [illegible] لكي [illegible] [illegible] [illegible] عصور [illegible] و[illegible] [illegible] التي شهدتها اللغة و[illegible] والثقافة [illegible] في [illegible] [illegible] والأدب [illegible]، فقد كانت عصور [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] المضمون، وهي العصور التي [illegible] فيها [illegible] في السجع [illegible] والشعر إلى مجرد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] البلاغة أو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، وهم مع ذلك لا يجدون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن [illegible] [illegible] من البلاغة [illegible] [illegible] [illegible].

وقد كان [illegible] في هذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حتى [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

و[illegible] حتى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المعنى والمضمون [illegible] [illegible] اللفظ والشكل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

قضية من منهجه موقف المعتزلي الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهو
أساس في رأيي [illegible] [illegible] [illegible] أن [illegible] لأنه.
والأساس، والعرض، والضمير، إنما هو مضمون، وأن [illegible] إنما هو
أداة ووعاء، وأن اللغة إنما تكون جزءاً من [illegible] [illegible]
واجهة المقدم، والأمر مضمون!

بل إنه يعمم هذا الموقف على [illegible] [illegible] [illegible] المنطق
في كتابه، ويستخدمه في [illegible] هذا المعيار، فهو أكثر [illegible] إلى
بعض [illegible] في نص يتعارض مع العقل، وهذا نص [illegible] [illegible]
وشكلاً، ومعنى ولفظاً، فالحكمة يقولون [illegible] في [illegible] [illegible]
العربية، وهي ضربان: أحدهما معنوي والآخر لفظي، وهذان
الضربان [illegible] وكثير في هذه اللغة، فأين هو هذا وأمثاله هو
[illegible] معنوي؟ ألا ترى أن الأسباب [illegible] [illegible] [illegible]،
واحد منها لفظي وهو شبه الفعل [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] كلها معنوية كالتعريف، والوصف، والعدد، والتأنيث
وغير ذلك؟؟ ...»(١).

ثم يتحدث عن الخصم الذي يقيده [illegible] المعنوي [illegible] وكيف أن
وجوده [illegible] حاجة إلى القياس المنطقي [illegible] [illegible] المنطق [illegible]
[illegible] [illegible] لا يحتاج [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] محتاج إلى [illegible] [illegible](٢)

ثم [illegible] في حديث عن شرفه [illegible] قدرته على النطق،
وكأنه يحتج [illegible] [illegible] في البلاغة [illegible] [illegible] [illegible]

---

(١) المصدر السابق ص ١١٤ (٢) المصدر السابق ص ٢٠٣، ٢٠٤.

العرب، [illegible] عليها، [illegible] من [illegible] [illegible]

[illegible] أقوى من [illegible] ألا ترى [illegible]

[illegible] من [illegible] [illegible]

[illegible] أصبح [illegible] أوثق من أجله؟[4]

ويؤكد أن [illegible] في [illegible] قد

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

و[illegible] هذه [illegible]

[illegible] وأنها [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] المحدثين، أهل الخصوص [illegible]

[illegible] هذه [illegible] الأدلة [illegible]

في هذا المضمار، مثل أن يقول: " [illegible] في

أنفسهم (أي العرب)، [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible] على [illegible][5] و[illegible]

[illegible] وكم [illegible] نحو [illegible] "

---

[1] [illegible] ص [illegible]

[2] [illegible] وسيبويه أول [illegible]

[3] الخصائص ص ٢٢٥ [4] المصدر السابق ص ٢٢٣

[illegible] في هذا [illegible]

[illegible] علاقة [illegible]

[illegible]

[illegible] كثمرة ، وذلك [illegible]

[illegible] التي [illegible]

[illegible]

[illegible] التي [illegible]

[illegible]

حركة الأفعال التي تؤلف [illegible] "[1]

كما [illegible] العلاقة في [illegible] "[2]

كما [illegible] علاقة بين [illegible]

[illegible] "[3]

---

[1] المصدر السابق ص ٥٤٤ ، ٥٤٥

[2] المصدر السابق ص ٥٥٣

[3] المصدر السابق ص ٥٥٣ ، ٥٥٤

ونحن لو تتبعنا هذه الصنوف من ألوان الترجمة من حيث العلاقة التبعية التي تربط اللفظ بالمعنى وتشكل المضمون لطال بنا الحديث طولاً لا يناسب الإطار الذي رسمناه لهذه الصفحات ، فحسبنا في هذه المقدمة أن نقول إنه من حيث كل من أنواع هذه كشفوا الفروق الدقيقة بين الكلمات ، ووجدوا أن مرجع هذه الفروق إنما هو الفرق القائم بين معاني هذه الكلمات لا أنه أمر توقيفي ، كما يرى ذلك نحاة [illegible] وهو مذهب ضعيف.

البراعة في الجدل

وكان لابد لهذا المنهج العقلي لدى [illegible] ابن جني ، ونظره الفلسفي الذي سلكه بدراساته النحوية ، كان لابد لهذا النمط العقلي من أن يزود عالمنا الكبير بمادة فائقة في صناعة الحجة ، وبراعة وقدرة في فن الجدل والنقاش . وهو قد ورث ذلك أيضاً عن قادة مدرسة الاعتزال وأصحابها ، وهم من أهل حدة وبراعة في هذا الضرب من ألوان الإرشاد والإقناع .

حتى أننا نجد ابن جني وهو يستخدم هذه البراعة المعهودة لدى متكلمي المعتزلة في الدراسات النحوية يقدم لنا صوراً طريفة بقدر ما هي عميقة وصائبة في أغلب الأحيان

فهو بعد أن تحدث عن شرف المعنى على اللفظ ، وساق [illegible] العديد من الحجج ، التي رأى من بينها تقديم العرب حروف الدالة على المعنى في أول الفعل المضارع حروف المضارعة (١) . بعد ذلك يتوقف حوله فيجد أن للمعاني حروفاً أخرى لم يكن حظها من الكلمة التقدم لدى كل من حظ حروف المضارعة . فتسعفه الحجة والبديهة فيعطي بهذه الحالة التعليل المنطقي الذي كان يتوقعه من السائل ، فيقول : إن العرب قد حشوا بحروف المعاني فخصصوها بكونها حشواً ، وأمنوا عليها ما لا يؤثر على الأطراف معرضة للحذف والإجحاف ، ووجدت كألف التكسير وياء التصغير ، نحو دراهم ودريهم (٢)

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٣ ، ٢٣٤

وصورة أخرى من كلمة في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] يقول فيه [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] قلت [illegible] بأنهم كثر عندهم باب فُعُل [illegible] نحو عُنُق
وطُنُب [illegible] عندهم باب فِعِل نحو [illegible] [illegible] الضمة [illegible]
من الكسرة؟؟ [illegible] (ثم [illegible]) [illegible] الضمة وإن كانت
أثقل من الكسرة فإنها أقوى منها [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
من الألف وبعد الواو منها[3].

وصورة ثالثة من صور [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] الأشياء و[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] العرب بالإضافة [illegible] [illegible]
بالإشارة عن الإضافة، ثم [illegible] من هذا الباب فيقول: [illegible]
[illegible] [illegible] (في العرب) ـ الإضافة، مع [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
حروف [illegible] [illegible] مع الإضافة [illegible] حروف [illegible]
[illegible] [illegible] مقتصرة على [illegible] [illegible] حروف
الكلمة[1] [illegible] لأنها أقوى في [illegible] [illegible]

[illegible]

[3] [illegible]

فحسب ، [illegible] ، فهي ثابتة ، لا [illegible] حديثه [illegible] فيحتويه لأنها متقطعة الأصوات ، والحفظ في الذاكرة والتكرار له فهو على التقطيع ، لا على المد ولا الغناء »

فنحن نعلم أن التعليم من خلال الأصوات والمقاطع ، وأشكالها [illegible] ، الموثقة [illegible] علم [illegible] ، [illegible] ذلك وغيره فإن هذه لأن [illegible] هذه [illegible] ، [illegible] [illegible] لأن في علم النفس [illegible] من معلومات في الذاكرة والإعلان [illegible] « والحفظ في الذاكرة والتكرار له على المقطع ، لا على المد والغناء » [illegible] ، [illegible] في [illegible] ، وهي [illegible] الذكرى وتشكل مقطعات الإنسان

---

١) المصدر السابق ص ٨٥

اللغة .. أقديمة هي أم مخلوقة ؟؟ .

ولكن لا بد لنا من أن نعرف هذا السبب .. لأن حديثنا [illegible] عن حقيقتها [illegible] لم يكن مجرد خلاف خاص بمشكلة محصورة في نطاق علم التوحيد الإسلامي .. ولكنه كان نوعاً من [illegible] الفكري له بصورة خاصة للإنسان .. فقد تبرز بعض المعاني .. [illegible] خاصاً من الاحترام لفلسفته وحكمته .. ومرونة معروفة في الأخذ من مختلف الثقافات .

ولكن التوحيد [illegible] معنى آخر من [illegible] .. [illegible] دعا المعتزلة لنفي القدم عن القرآن .. لأنهم ينفون الصفات الزائدة عن الذات [illegible] حتى لا يكون هناك فرق [illegible] هذه الصفات فتكون مع الله قديمة قدم [illegible] .. [illegible] مؤمن [illegible] الشبهة من هذا الباب .. [illegible] هو الذي [illegible] المعتزلة .. [illegible] في هذه المعركة الفكرية .. مع علمنا بأن هذه الحجة لا تمثل كل [illegible] موضوع عند المعتزلة .. ولكنا لا نريد الحديث عنها هنا لأننا [illegible] في [illegible] الموضوع [illegible] قصدنا [illegible] الأمر حتى لا بد من أن يحاكم اللغة بهذا المنطق .. وأن نبحث عن [illegible] وحتى هي من عند الله ؟؟ أم ظاهرة يرجع [illegible] وضعها للإنسان ؟؟

[illegible]

ويبقى أن ابن جني كان في جانب الفريق المفكر منذ أن قدم معرفته قواعده في هذا الباب . فيقول : " إن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح ، لا وحي ولا توقيف "(1)

ثم يزيد هذا الأمر إيضاحا ويفهمنا كيف كانت هذه المواضعة ، وكيف وضعت الأسماء للمسميات فيقول : " وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة ، قالوا : وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا ، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات ، فيضعوا لكل واحد سمة ولفظا ، إذا ذكر عرف به ما مسماه ، ليمتاز من غيره ، وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين ، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره ، لبلوغ الغرض في إبانة حاله ، بل قد يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن إحضاره ولا إدناؤه ، كالفاني وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد ، كيف يكون ذلك لو جاز ، وغير ذلك مما هو جار في الاستحالة مجراه "(2)

والذين درسوا قصة " نشأة النقود " وظهورها عند المجتمعات الإنسانية ، يحسون الشبه القريب بين القصة المعروفة التي نستخلصها من حديث " وضع اللغة " وظهورها . والقصة الثانية التي تعرف " نشأة النقود " ولا غرابة في ذلك ، فكل من اللغة والنقود أداة تعامل نشأت في البيئة كحل لمشاكل الصعوبات الناشئة عن مرحلة البدائية في نشأتها . ففي حالة النقود هناك مقايضة عينية وصعوبة إحضار السلع وتنقلها في الأسواق .

---

(1) الخصائص ص ٣٩

(2) المصدر السابق ص ٤٢

ولكني لا أتصور مثلا صعوبة أن ندفع حركة علمية [illegible] كما أن التطورات المؤلمة تعوق تطبيقهم في التدريس عن طريق [illegible] الإنترنت مثلا ، كما كان صنيع العرب في البدايات ، وإن تغير هذا الأمر في التدريس ، الصعوبة ذاتها ، والفرق بينه وبين فتح [illegible] في حد ذات التدريس بأخذه كل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من أصعبه

فلنلتفت إذن إلى [illegible] ولأسمائه ، فهي [illegible] كانت إشارات في بدايته ، والإشارة المصورة وحدها ليست [illegible] [illegible] أو لا [illegible] ، وقد تكون غير موجودة لا [illegible] [illegible] ، من أنه في كل أحوال [illegible] أو لا يمكن [illegible] ، لأنه مزيج من [illegible] [illegible] لا يجتمعان في مكان واحد [illegible] وقد كان لا بد للإنسان أن [illegible] في عملية ثرية فكرية [illegible] يخترع الأدوات التي تسهل له العمل في هذا الميدان

ثم تطورت اللغة ، كما تطورت النقود ، مع فروق بينهما ، فهو أن اللغة قد أصبحت وعاء حضارة ، ومخزنا للمقدسات ، وأن ألفاظها قد اكتسبت قيمة جماعية ، وحملة أعضائها ، وأعطت بعضها ، أبنية خاصة ، تنقلها عن مجرد الأداة ، ومن منا يشك أن ألفاظا مثل "[illegible]" ، و"[illegible]" ، و"الشهيد" ، لا تحمل من الجلال والمهابة والقدسية أكثر من المعنى الحرفي [illegible] وضعت أصلا لتدل عليه ؟؟

هذه هي قصة نشأة اللغة كما يحددها عدد من الباحثين وعلماء [illegible] وهو ما [illegible] أن يستطيع أحدث علماء اللغة في أكثر [illegible] [illegible] [illegible] الفرع من فروع الدراسات [illegible] ولكنه لا [illegible] [illegible]

خاصة من حروف المعجم والمصوتات [illegible] " وصف اللغة " [illegible] التي لا يتحدث [illegible] ويعجز عن [illegible] [illegible] نطقها [illegible] [illegible] [illegible] العرب (1) ثم كانت [illegible] الاسم علما وسميت بها [illegible] المعنى (1)

فيتحدث عن صفة اللغة [illegible] [illegible] ، وكيف أنها [illegible] من مظاهر التي تحدث بها [illegible] أصواتها وجرسها ، [illegible] . [illegible] [illegible] [illegible] أكثر [illegible] كلها [illegible] هو من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، ثم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الإنسان ، [illegible] [illegible] [illegible] " [illegible] ، [illegible] [illegible]

وصفه الحروف [illegible] [illegible] ، [illegible] إلى [illegible] [illegible] وخصائص ، فيشير [illegible] إلى حسن المناسبة بين [illegible] [illegible] وهو الصلة الشائعة بين سمات اللفظ وجرسه وبين معناه ، فهو يقول : " فإن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها ، ألا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب ، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى ، والصوت الأضعف للفعل الأضعف ، وكذلك قالوا صر الجندب ، فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوته ، وقالوا صرصر البازي ، فقطعوه لما هناك من تقطيع صوته ، وسموا الغراب غاق ، حكاية لصوته ، و[illegible]

---

(1) المصدر السابق ص ٤٥

حكاية الأصوات وقالوا «قطّ الشيء» إذا قطعه عرضاً و «قدّه» إذا قطعه طولاً، وذلك لأن منقطع الطاء أقصر مدة من منقطع الدال، وكذلك قالوا «مدّ الحبل» و «متّ إليه بقرابة» فجعلوا الدال لأنها مجهورة لما فيه علاج وجعلوا التاء لأنها مهموسة لما لا علاج فيه»[1]

وكثير غير هذه الأمثلة، وكثير غير هذه النصوص وهي من السيوطي وابن جني في كتابه تدعيماً لوجهة نظره ونظر المعتزلة، «أهل النظر» في هذا الباب.

وهو يتحدث عن الذين يرون أن اللغة إنما هي توقيف من عند الله ثم حجة المعتزلة الذين قالوا بأن نطق العرب فيها لأنه كلام القديم سبحانه وتعالى، فيتقدم في هذا الصدد بحجة المعتزلة عندما يقول «إن المواضعة لابد معها من تقدم إشارة بالجارحة نحو المومى إليه والمشار نحوه، والقديم سبحانه لا جارحة له فيصح الإيماء والإشارة منه، فبطل عندهم[2] أن مواضعة على اللغة منه»[3]

وهو الذي يتتلمذ على أبي علي الفارسي ٢٨٨ ٣٧٧هـ ١٤٣٠ ٩٨٧م) وصحبته بعض عمره يرفض غير ذلك حين يدلي بكتاب يحصر أحسنه لأبي علي الفارسي بأن اللغة وحي من عند الله فيقول «إن أبا علي الفارسي رحمه الله قال إنها توقيف هي من عند الله واحتج بقوله سبحانه ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾[4] وهذا

---

(١) المصدر السابق ص ٦٦، ٦٧ (٣) أي عند «أهل النظر»

(٢) الخصائص ص ٤٣ (٤) سورة البقرة ٣١

[illegible] لا محبة !!

* * *

[illegible] يقطع التمر بهذا الرأي ، والنقد [illegible] ولا طمئنان غير المبرر [illegible]

[illegible] (١) [illegible] الذي لا تحيط بحاله الظنون والتخيلات (٢)

[illegible]

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩

تكون محبوبة ومسموعة [illegible] فهو وحده [illegible] في [illegible] إلى أنه صاحب كل هذا الجمال وهو [illegible] موقف شمشون [illegible] حتى [illegible] [illegible] في المحسنة [illegible] على [illegible] حتى [illegible] [illegible] لا [illegible] على [illegible] حتى [illegible] [illegible] الحكمة الرائعة الباهرة»[1]

[illegible] حتى [illegible] في [illegible] الموقف [illegible] ولا [illegible] الشعر [illegible] اللغة [illegible] وصفها، وأنه كانت لهم من الثقافة والإمكانات [illegible] فلا [illegible] أن تكون [illegible] [illegible] من كل [illegible][2] فأكرم هذا الشاعر العربي الجميل!

---

[1] المصدر السابق ص ٤٥
[2] المصدر السابق ص ٤٥.

ولكنه مع ذلك لا [illegible] في هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكذلك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التوفيق »

وبعد [illegible] [illegible] [illegible] ابن جني [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عمر هذا المعبر؟؟

الواقع أن تصميم ابن جني إذا [illegible] من [illegible] هذه النقطة ضعف في موقفه ومنهجه [illegible] [illegible] كمعيار في [illegible] وذلك لأن [illegible] اللغة العربية فعلاً [illegible] [illegible] ومرونته [illegible] [illegible] إلى مستوى [illegible] [illegible] [illegible] مثلاً [illegible] حدثت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ١٩٢٠ [illegible] ٢٣ [illegible] [illegible] من [illegible] ووقع في [illegible] [illegible] وضعت [illegible] [illegible] [illegible] العربية [illegible] [illegible] [illegible] معروفة [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ظهرت [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] ووقع [illegible] [illegible] الأرض [illegible] [illegible] في [illegible] وأدوار محددة؟؟

---

١ المصدر السابق ص ٤

[illegible]

[illegible] عشر [illegible] ويقف أمامها مشدوهًا ،

[illegible] فيكون حرامًا على ابن حجر أن

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وحسبه ذلك أمانة والتزامًا بموقف العقل السليم

ما هو العامل؟؟

[illegible] العكبري [illegible] الإعراب [illegible] فمسألة [illegible] العامل [illegible] لفظ [illegible] معنى [illegible] اللفظ والمعنى ؟؟

وابن جني منسجمًا مع موقفه الفكري يرى أن العامل هو الإنسان، أي الإنسان المتكلم، فهو يعبر عن هذه الحقيقة بقوله: [illegible] وإنما قال النحويون عامل لفظي وعامل معنوي ليروك أن بعض العمل يأتي مسببًا عن لفظ يصحبه كمررت بزيد وليت عمرًا قائم، وبعضه يأتي عاريًا من مصاحبة لفظ يتعلق به، كرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم، هذا ظاهر الأمر، وعليه صفحة القول، فأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره، وإنما قالوا لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ أو باشتمال المعنى على اللفظ

وهو موقف صحيح والمعاصر [illegible] في هذه [illegible] يصحح مذهب ابن جني في هذا الباب.

[illegible]

الثقة في الحضارة العربية

وقد يبدو للباحث عندما يستعرض كتب التراجم [illegible] العلمية [illegible] قد تكشف في [illegible] العربية [illegible] المدرسة العلمية [illegible] هو فوق [illegible] ذلك بالإنسان [illegible] العرب الأقدمين [illegible] في [illegible] [illegible]

فالبعض يتصور أن كل العرب بدو [illegible] وأن عيون الشعر [illegible] حتى إنهم لم يكونوا [illegible] هذا الشعر وينشدوه .

وأن [illegible] لم تكن [illegible] في حاجة إلى [illegible] يفكر في اللغة من حيث الصحة والخطأ وغيرهم من الأمم حتى تكتشف مثل هذه الدراسات

والبعض يتمثل في هذه الصورة عن العرب أنهم قد [illegible] في [illegible] بلا حضارة وأن ثقافتهم [illegible] لم تكن إلا تعبيرا عن فقرهم الحضاري وحنينهم [illegible] حضارة الإنسان

والأمر الذي لا شك فيه أن هذه النظرة عن العرب حتى قبل الإسلام، كانت على صورة مرتفعة [illegible] من الإسلام، [illegible] تحاملت على ترسيخها أناس كثيرون على اختلاف [illegible] [illegible] من أهدافها. فالعصر [illegible] الإسلام [illegible] حتى [illegible] العلم [illegible] وعقلية [illegible] [illegible] وحروب [illegible] العرب في [illegible] حتى [illegible] في [illegible] الإسلام، وحتى [illegible] إلى شعوب أخرى غير عربية [illegible] الذي [illegible]

وقد [illegible] وتشبه [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] لا [illegible] عصور [illegible] في [illegible] الأعرابي [illegible] [illegible] كانت من نوع أكثر [illegible] إلى حد التعبير عن [illegible] [illegible] مؤرخون [illegible] أصله العرب في جاهليتهم لم تكن [illegible] [illegible] * [illegible] لا يعرفون إلى [illegible] *

ويجب [illegible] أن نشعر في [illegible] الإسلام، ولا [illegible] التفريق بين "العرب" و"الأعراب". ولا [illegible] [illegible] العرب [illegible] والبحر [illegible] والرحلات منذ عصور موغلة

[illegible] ٣

في [illegible] ، ولا على أن الشعر جاهلي . [illegible] في روعه ودهشته ، لأنه لن يكون معبرا عن حضارة قوم [illegible] ثم [illegible] نصيبهم [illegible] عليهم ، فعل كما [illegible] نحن لا نريد أن [illegible] في هذا [illegible] الذي [illegible] حتى كاد ينظر إلى العرب نظرة كلها ثقة وكلها إعجاب [illegible] في أيدي أسلاف لهم [illegible] هم القوم لا يعترفون بالعرب [illegible] الكافي والواجب من التقدير والاحترام [illegible] فهو يقول [illegible]

قلت ومن أين يعلم أن العرب قد رعت الأمر واستشعرته ، وعملت [illegible] ، حتى [illegible] ؟ ومن [illegible] أن يكون [illegible] ، و[illegible] من [illegible] في هذا [illegible] الذي [illegible] [illegible] ، [illegible] من [illegible] حولهم وبعد أغراضهم ولطف [illegible] حتى [illegible] ، [illegible] عن [illegible] حركات [illegible] ، وأحسوا [illegible] في [illegible] . ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] لا [illegible] على يوسف ﴾ [illegible] ، لا [illegible] وكذلك قوله [illegible] ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ [2] [illegible] لا [illegible] وكذلك قوله عز وجل ﴿ [illegible] ﴾ ؟ [illegible] غير ممكن كسرة الهمزة ﴾ [4] .

---

[1] [illegible]

[2] سورة القيامة ٤٠

[3] [illegible]

[4] المصدر السابق ص ٧٤

ثم مضى [illegible] إلى [illegible] المنكر في [illegible]
ووقف عليهم [illegible] صورة [illegible] معنى " [illegible]
الفصيحة " التي صور بها المعنى عليهم ، [illegible] مثلا [illegible]
قائلا " حدثني [illegible] شعرت [illegible] لا [illegible]
قال كنت [illegible] في [illegible]
وهم يتحدثون ، فذكر في كلامه [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] فلا [illegible]
[illegible] على [illegible] "[1]

[illegible] من شعر العرب و[illegible]
[illegible] عن [illegible]
[illegible] ، فهو يقول [illegible] على [illegible]
[illegible] بالفصاحة والرشد [illegible]
[illegible] من [illegible] إلى [illegible]

فتى قد [illegible] لا [illegible]

وقول جميل في [illegible]

[illegible] من [illegible]
[illegible]

وقول [illegible]

[illegible] على [illegible] "[2]

---

[1] [illegible] ٢٤

[2] [illegible] ولست من قصيدة [illegible]

[3] [illegible]

فإن جاز هذا الشأن لغيرها [illegible] مع نفسه. فقد كان الشعر هو ديوان العرب الجامع، كما يقول الجميع. فلا يحق لأي أن يحد من شأن العرب ويبدد مفاخرهم. وخاصة الأعراب منهم. فقديماً استخرجنا منهم من معلومات الحضارة، بما [illegible] وبعض الطرف كتبه علماء في دواوينه الجامعة هذه من شواهد لا يحصل على تمكينهم من فيه حضارة [illegible] ما لم يكن يتيح لهم الاتصال بأسلافهم في الحضارة العربية، والحضارات السابقة التي كانوا يعيشون في ظله من مراحل التطور التي شهدها الإنسان.

ومن هذه الأرضية الخصبة الثقافية في العرب لا يجد [illegible] حرجاً في أن تمدح عشيرته فيقول: "وكلام العرب [illegible] في غرقه وبيان معرفتها [illegible] مجرى السحر حقاً[1]"

بل هذه اللغة لا تتحرج في أن يضع العربية في مرتبة أرقى من الفارسية، فهي عنده تتسع بما لا تتمكن أن تكون هي [illegible] [illegible] وكلام العرب كانوا أكثر تحولاً [illegible]، وقدرة على تقلباتها في هذا المستوى الرفيع، فهو يقول: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وقدم أصناف العربية في [illegible] وحسنه[2]

---

[1] [illegible] البيان [illegible] ٢ / ٢

[2] [illegible] ص ٢٥٢

[illegible] هؤلاء [illegible]

[illegible]

[illegible] (١٢٨) [illegible]

[illegible]

[illegible] هؤلاء [illegible]

[illegible]

النموذج الذي يجب أن يحتذيه المتعلم

وابن جنى الذى يعطى كل هذه الثقة للعقل العربى والتراث والحضارة العربية ، لايقف هذا الموقف من ماضى هذا العقل والتراث والحضارة فقط ، وإنما تنسحب ثقته هذه وتمجيده ذلك على المستقبل ، مستقبل الإنسان العربى المتسلح فى حقل العلم والدراسات بالمنطق العقلى ، وأدوات البحث التى تثبت صحتها وجدواها فى هذا الميدان . .

ونحن نلمح من خلال أحاديثه وإشاراته المتناثرة أن إيمانه بقدرة العقل على فض المغلق من الحقائق ، واكتشاف المجهول من المعارف ، والوصول إلى المحجوب من العلوم ، قدرة كبيرة ، وليس أمام الأمل فى انتصارات الإنسان فى هذا المجال حدود ولا سدود . .

فهو رغم حيرته وتردده فى موضوع اللغة ، أوحى هى أم موضوعة؟ إلا أنه لايفقد الأمل فى أن يصل عقله يومًا ما إلى خاطر يحسم الأمر فى أى من الاتجاهين اللذين يتنازعانه ويتجاذبان عقله ووجدانه ، فيعد القارئ بأنه « إن خطر خاطر فيما بعد ، يعلق الكف بإحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها ، قلنا به » (١) .

وعندما يتحدث عن حكمة العرب ، فإنه يقف الموقف المنطقى مع نفسه ، فإذا كان مجد هذه الحكمة إنما يرجع إلى علو شأن

---

(١) المصدر السابق ص ٤٦

العقل العربي ، فلابد لعقل الباحث من أن يصل إلى أغوار هذه الحكمة ويكتشف ما فيها من روعة وجمال ، وإذا كان يقف اليوم عاجزًا أمام بعض أسرار هذه الحكمة فلابد وأن يفتح له المستقبل هذه الأبواب ، فحكمة العرب كما يقول : « تشهد بها العقول ، وتتناصر إليها أغراض ذوى التحصيل ، فما ورد على وجه يقبله القياس وتقتاد إليه دواعي النظر والإنصاف ، حمل عليها ، ونسبت الصنعة فيه إليها ، وما تجاوز ذلك فخفى لم تيأس النفس منه »[1] .

فهذه الثقة التي يعطيها ابن جنى للنفس ، وإيمانه بقدرتها على اكتشاف ما هو « خفى » الآن ، إنما توحى إلينا ، هى كذلك ، بصدقه مع نفسه ، ومع المنهج الاعتزالى الذى استخدمه بعبقرية وحصافة عندما غزا به - على هذا النحو الذى أشرنا إليه - دراسة النحو العربى ، وقدم لنا كتابه القيم (الخصائص) تجسيدًا لهذا المنحى الدراسى فى هذا الميدان[2] .

---

[1] المصدر السابق ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ .

[2] عندما كنت طالبًا فى « ليسانس » كلية دار العلوم ، كان مطلوبًا أن أتقدم - فى أعمال السنة - بحثًا فى نحو اللغة العربية .. ولما كنت عزوفًا عن البحوث التقليدية - التى لا إبداع فيها ولا فكر - كتلك البحوث التى تقدم فى مثل هذه المناسبات - فى « النحو » - فلقد حار عقلى : ماذا أكتب ؟ وفيم ؟ وكيف ؟؟! .. ثم تذكرت أننى قرأت للدكتور طه حسين ثناء على تفرد كتاب (الخصائص) لابن جنى ، ووصفه بأنه أعظم ما كتب فى فلسفة العربية ..
ولما كنت أعلم أن ابن جنى هو واحد من أعلام التيار العقلانى فى تراثنا العربى الإسلامى ، فلقد خطر بذهنى أن أبحث عن أثر منهجه العقلانى فى دراسته للعربية ، كما تمثلت فى كتابه (الخصائص) .. فكانت هذه الدراسة - التى بين يدى القارئ - هى التى تقدمت بها « بحثًا » فى « أعمال السنة » عندما كنت طالبًا فى كلية دار العلوم .

الفهـرس

مقدمة ٣

الكوفة والبصرة : مدينتان ومدرستان ٧

من هو ابن جنى ؟؟ ١٨

منهج البحث فى (الخصائص) ٢٠

الخلق والإبداع ٢٢

الاستقلال فى الرأى ٢٥

مستوى البراهين النحوية ومكان النحو من تصنيف العلوم ٢٧

النظرة الكلية ٣٠

الاهتمام بالجزئيات ٣٣

اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون ٣٦

البراعة فى الجدل ٤١

اللغة .. أقديمة هى أم مخلوقة ؟؟ ٤٤

ما هو العامل ؟؟ ٥٣

الثقة فى الحضارة العربية ٥٤

الإيمان بقدرة النفس على اكتشاف المجهول ٦٠

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني، يستبدل العقل بالدين، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم: أنوار، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا.

ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء، تصدر هذه السلسلة، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر:

- د. محمد عمارة
- د. حسن الشافعي
- أ. فهمي هويدي
- د. سيد دسوقي
- المستشار طارق البشري.
- د. محمد سليم العوا.
- د. جمال الدين عطية.
- د. كمال الدين إمام.

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح، لإنارة العقل بأنوار الإسلام.

الناشر

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع